مَنْ أشجع الناس- بعد النبى ﷺ؟

أشجع الناس- بعد النبى ﷺ: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، رضى الله عنهما، فقد جهرا بإسلامهما ولم يستخفيا به، وخاضا معارك نوعية مع المشركين لم يخضها غيرهما. . وقد أعز الله بهما الإسلام، وأظهر بهما دعوته، لإخلاصهما وإيمانهما، فما تركا الفرصة لأحد من بعدهما فيدّعى أنه أشجع منهما.

يقول النبى ﷺ: «**إن منْ أمنِّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر، وما دعوتُ أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة إلا أبا بكر بن أبى قحافة**» [البخارى ومسلم].

ويقول ﷺ لعمر: «**والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك**» [البخارى]. . وروى الترمذى بسنده عن أنس، رضى الله عنه: «**أن النبى ﷺ قال: أشد أمتى فى أمر الله عمر**».

● «روى البزار وأبو نعيم فى الفضائل عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه- قال: أيها الناس، أخبرونى بأشجع الناس، قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر، لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش، هذا يجأه وهذا يتلتله وهم يقولون: أنت الذى جعلت الآلهة إلهًا

واحدًا، قال: والله ما دنا منه منا أحد إلا أبو بكر؛ يضرب هذا، ويجالد هذا، ويتلتل هذا ويقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله، ثم رفع علىٌ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله: أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تجيبوننى؟! فوالله لساعة من أبى بكر خير من مثلىْ مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه»[١].

● اجتمع أصحاب النبى ﷺ يومًا، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا، ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور فقال: «**يا أبا بكر إنا قليل**» فلم يزل أبو بكر يلِّح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته.

وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله، وإلى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين، فضُربوا فى نواحى المسجد ضربًا شديدًا، ووُطئ أبو بكر وضُرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا[٢] على بطن أبى بكر حتى ما يُعرف وجهه من أنفه.

---

(١) سبيل الهدى والرشاد ٢/ ٥٧٥- نقلاً عن: الابتلاء والمحن، مرجع سابق.

(٢) نزا: وثب.

وجاء بنو تيم يتعادون فأجْلَت المشركين عن أبى بكر وحملَت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكُّون فى موته، ثم رجعَتْ بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة.

فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظرى أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألَحَّت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لى علم بصاحبك. فقال: اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه..

فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك، قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا[1] فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شىء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: فى دار

(١) دنفًا: ثقيل المرض، قريبًا من الموت.

ابن الأرقم، قال: فإن لله عليّ ألا أذوق طعامًا ولا شرابًا أو آتى رسول الله ﷺ فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ..

قال فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله وأكب عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقَّة شديدة. فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله، ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى، وهذه أمى بَرَّة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت»[1].

● وأبو بكر رجلٌ عينه موجهة إلى السماء، وقلبه معلق بالله مولاه، ينظر باستخفاف إلى الذين يصدون عن الدعوة، ويواجهون الدعاة الموحدين.. وهو لا يرضى بغير الله ناصرًا ووكيلاً.. أخرج البخارى عن عروة بن الزبير أن عائشة -رضى الله عنها-: قالت «لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية.

فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا قِبَل الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟!.

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٢٩ -نقلاً عن: مواقف فى الجرأة، مرجع سابق.

فقال أبو بكر: أخرجنى قومى فأنا أريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى.

قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يُخرج؛ فإنك تُكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلادك.

فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبى بكر، فطاف فى أشراف كفار قريش فقال لهم: «إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يُكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكَلَّ، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق؟».

فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة، وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة: «مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره، فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به؛ فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا».

قال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فطفق أبو بكر يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة فى غير داره، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره وبرز، فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن..

فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه فى

داره، وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذى عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلىَّ ذمتى؛ فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدتُ له.

قال أبو بكر: إنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله» أ.هـ.

● لما ولى أبو بكر -رضى الله عنه- صعد المنبر، فحمد الله، ثم قال: أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنكم تضعونها فى غير موضعها، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**» [أحمد].

لقد كانت هذه الكلمات الخالدة بمثابة تذكير بدستور الأمة؛ القائم على الحق والحرية، الرافض للميوعة والسلبية؛ فإن الأمة التى شهدت لربها بالوحدانية لابد أن تكون على قدر هذه الشهادة من حيث إفراد العبودية لله، وتحقيق العدل، والأخذ على يد البغاة المجرمين.

● أما عمر فقد أرهب الأعداء، وأظهر شعائر الإسلام على رءوس الكافرين، وأذن -بشجاعته وجرأته- للمستخفين بإظهار دينهم، أعزة أقوياء بالإسلام.. لما أسلم -رضى الله عنه- قال: «قلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: **بلى والذى نفسى بيده إنكم لعلى الحق إن متم وإن حييتم**، قال: قلت: ففيم الاختفاء؟ والذى بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجناه فى صفين: حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر، له كديد كديد الطحين[1] حتى دخلنا المسجد، فنظرتْ إلىّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسمانى رسول الله ﷺ الفاروق، وفرق الله بين الحق والباطل»[2].

● وكان -رضى الله عنه- قد سعى فى إعلان إسلامه ليغيظ الكفار، ولينال من الأذى على يد المشركين مثل ما ناله إخوانه المسلمون من قبل، فلم يترك مجلسًا جلس فيه بالكفر إلا أظهر فيه الإيمان.. يقول عمر: لما أسلمتُ تلك الليلة تذكرت أىّ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت، قال: قلت: أبو جهل، -وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة[3]- قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه، قال: فخرج إلىّ أبو جهل فقال: مرحبًا وأهلاً يا ابن

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم -نقلاً عن: مواقف فى الجرأة، مرجع سابق.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٤ -نقلاً عن: مواقف فى الجرأة.

(٣) أى أن حنتمة أمه وهى أخت أبى جهل.

أختى ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله ورسوله محمد وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب فى وجهى وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به.

● ويقول عبد الله بن عمر -رضى الله عنه: لما أسلم أبى عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحى، قال: فغدا عليه، قال عبد الله بن عمر: فغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد؟ فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر واتبعت أبى، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش -وهم فى أنديتهم حول الكعبة-: ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ..

قال: ويقول عمر من خلفه: كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم، حتى قامت الشمس على رءوسهم، قال: وطَلَح[1] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا»[2].

(١) يعنى: تعب.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، مرجع سابق.

اليأسُ ليس من أخلاق المؤمنين

المؤمنون الصادقـون يستـعينون بالله، ويؤون إلى ركنه الشـديد، فلا يعجزهم شيء، ولا يعرفون اليـأس، ولا يضعفون ولا يستكينون.. إن أمـرهم كله لهم خيـر، فإن أصـابهم قرحٌ أو أذى، صـبروا وصـابروا ورابطوا حتى يأتي نصـر الله، فلا تضعف همـتهم ولا يقنطون؛ لأنهم يعلمـون أنهم مثـابون؛ متى حـسنت نيـاتهم وخلصت ضمـائرهم.. ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

إن الأمل سلاح المؤمن، فلا يجد اليأس إلى قلبه سـبيلا، مهما كان عنفوان الباطل.. ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

وإن له سـلاحًا آخـر هـو الحق، والحق خـالد، والله يقـول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبيـاء: ١٨]، ويقول: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ

فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

والإيمان كذلك سر من أسرار القوة، «لا يدركه إلا المؤمنون الصادقون، وهل جاهد العاملون من قبل، وهل يجاهدون من بعدُ إلا بالإيمان، وإذا فقد الإيمان؛ فهل تغنى أسلحة المادة جميعًا عن أهلها شيئًا؟، وإذا وُجد الإيمان، فقد وجدت السبيل إلى الوصول، وإذا صدق العزم وضح السبيل.. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ولئن تخلى عنا جند الأرض فإن معنا جند السماء ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]»[(١)]. فلِمَ إذًا اليأس والقنوط؟!

ولئن كان المؤمنون يسلِّمون أمورهم كلها لله، فإنهم -في المقابل- لا يستسلمون لأحد سواه، ليقينهم أنه صاحب الحول والطول، والنقض والإبرام، وأنه كاشف الغم، مفرّج الكرب، القادر على إعزاز من يشاء

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

وإذلال من يريد. . ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

أُرَجِّيكَ إذ كنت أهل الرجا ... وأخشاك إنى من الظالمينا

وأسألك إذ كنت قد ... علمتُ بحبك للسائلينا

وفوضتُ أمرى بعد الدُّعا ... بحقٍ إلى أحكم الحاكمينا

وهذا الذى أنت أهلٌ له ... وأنت تحث به المحسنينا

وأنت الذى قلت لا تقنطوا ... خطابًا خصصْت به المسرفينا

إن همة المؤمن دافعهُ لبلوغ الكمال، والتعالى على أهل الكبر والنفاق، ونفس الحر تأبى الذل والسقوط، فإذا مس اليأس قلبه وضاق بالهموم صدره، لجأ إلى القريب المستجيب غياث المستغيثين، فينقلب اليأس فرحًا والقنوط سرورًا، والعجز والقعود عزيمة وانطلاقًا، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ويقول النبى ﷺ: «**المؤمن القوى خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**» [مسلم].

ولماذا ييأس المؤمن، وخصمه لا يملك أن يضره شيئًا إلا بإذن الله، ولماذا يضيق؛ والفقر والغنى عنده سواء، وكذلك الموت والحياة؟. . إنه

فى كل حـالاته لا يتطلع إلا لله، ولا يلتفت لغـيره، ولا يـسأل سواه.. يقـول ابن تيمـية -رحـمه الله- لما سجنـه الطغاة: «إن حبسى خلوة، وقتلى شهادة، ونـفيى سياحة، وكل ذلك بأجره، ولو ملأتُ لهم قلـعتهم هذه ذهبًـا ما كافـأتهم على ما سـاقوا إلىَّ من ثواب الله، وإن جنتى وبستانى فى صدرى».

وحول هذا المعنى يقول الإمام الشافعى -رحمه الله-:

أنا إن عـشت لست أعـدم قـوتًا ... وإذا متُ لـست أعـدم قـبـرا

همـتى همـة الملوك ونفـسى ... نفس حـرٍ تـرى المذلة كـفـرا

إن ما وقع من تعذيب وإيـذاء لأبناء الحركة الإسلاميـة المعاصرة، مما يشيب له الولدان، ومما يوقع اليـأس فى القلوب، لعلو الباطل وتطاوله على الحق.. غير أن هذه العصبة المجاهدة ضربت المثل فى شموخ روح المؤمن، واستبشـارها، وفى اليقين بأنه مهما طال الليل بـظلمته فلسوف يعقـبه فجر وضـياء، ولسوف تتـبدل الحال، فيـعز الله المؤمنين، ويذل الظالمين.. يقول الشهيد صاحب الظلال:

أخى أنـت حـر وراء الـسـدود ... أخى أنت حـر بتلك الـقـيـود

إذا كنت بـالله مـسـتـعـصـمًـا ... فـمـاذا يضـيـرك كـيـد العـبـيـد

●●●

أخى سـتـبـيـد جـيـوش الظلام ... ويشـرق فى الكـون فـجرٌ جـديد

فـأطـلق لروحك إشـراقـهـا ... ترى الفـجـر يرمـقنا من بعـيـد

●●●

أخي قـد أصـابك سـهـمٌ ذليل ... وغـدرًا رمـاك ذراع كليل
ستبتر يومًا فـصبـر جـمـيل ... ولم يدم بعدُ عرين الأسود

•••

أخي هل تراك سـئـمت الكـفـاح ... وألقـيت عن كـاهليك السـلاح
فـمن لـلضحـايا يـواسى الجـراح ... ويرفـع راياتـهـا مـن جـديد؟
أخي إنني مـا سـئـمت الكفـاح ... ولا أنا ألـقـيت عنى السـلاح
وإن طوقـتنى جـيـوش الظلام ... فـإنى على ثـقـة بـالصـبـاح

•••

أخي فـامض لا تلتـفـت للوراء ... طريقك قـد خـضـبـتـه الـدمـاء
ولا تلـتـفت هـا هنـا أو هنـاك ... ولا تتطلع لغـيـر السـمـاء
فلسنا بطيـر مـهـيض الجناح ... ولن نسـتـذل ولـن نسـتـبـاح
وإنى لأسـمع صـوت الـدمـاء ... قـويًا يـنادى الكفـاح الـكفـاح[1]

(١) ديوان سيد قطب، جمعه ووثقه وقدّم له: عبـد الباقى محمد حسين، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٧م.

المغيرة وربعي.. أعز الرجال

أما الأول فهو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى، ولد عام ٢٠ قبل الهجرة ومات سنة ٥٠هـ، ويسمى مغيرة الرأى، أسلم سنة ٥هـ، وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام، وذهبت عينه فى اليرموك، وشهد القادسية ونهاوند وهمدان، وغيرها..

أما الثانى فهو ربعى بن عامر بن خالد بن عمرو، من أشراف العرب، فارس شجاع، أمد به عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- المثنى ابن حارثة الشيبانى، وله ذكر فى غزوة نهاوند مع أميرها النعمان بن مقرن. ولاّه الأحنف بن قيس طخارستان.

بعثهما سعد بن أبى وقاص -رضى الله عنه- فى معركة اليرموك؛ إلى رستم قائد الفرس، بناءً على طلبه رجلاً عاقلاً عالمًا من المسلمين للتحاور معه.. بعث سعد بالمغيرة أولاً، ثم بعث بربعى بعدما طلب رستم رجلاً آخر غيره لاستكمال الحوار..

فى الحوارين -على اقتضابهما- تلحظ الثقة بالنفس فى أعلى درجاتها، لدى المغيرة وربعى، وهذا ناتجٌ عن إيمان بالله ملأ جانبيهما -رحمهما الله- وهو ناتجٌ أيضًا عن استعداد تام لملاقاة هذا العدو

الشرس، بحسن الإعداد للمعركة، والأخذ بجميع الأسباب التى تؤدى إلى النصر، وأولها سلامة الصف المسلم، وقوته وحيويته.

ويلاحظ فى الحوارين أيضًا استهانة الصحابيين الكريمين بالموت، وروحاهما الوثابتان المجاهدتان، إن كليهما يضم بين جوانحه تلك الروح العزيزة مع أعداء الله، التى لا تهاب الخصوم وما يمتلكون من قوى مادية وأبهة عروش، المتعلقة باليوم الآخر، الزاهدة فى الدنيا وزينتها، الصلبة فى المواقف العصيبة..

● قال الطبرى: «قال سيف بن عمر التميمى عن شيوخه: «ولما توجه الجيشان بعث رستم إلى سعد رضى الله عنه أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه.

فبعث إليه المغيرة بن شعبة، فلما قدم إليه جعل رستم يقول له: إنكم جيراننا، وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا.

- فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولاً قال له: إنى قد سلطت هذه الطائفة على من لم يَدِن بدينى فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة مادامو

مـقـرّين به، وهو دين الحـق لا يرغب عنه أحـد إلا ذَلّ، ولا يعتصم به إلا عَزَّ.

- فقال له رستم: فما هو

- ؟فقال: أما عموده الذى لا يصلح شىء منه إلا به؛ فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والإقرار بما جاء من عند الله.

- فقال رستم: ما أحسن هذا!! وأى شىء أيضًا؟. قال المغيرة: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله.

- قال رستم: وحسن أيضًا، وأى شىء أيضًا؟

- قال المغيرة: والناس بنو آدم فهم إخوة لأب وأم.

- قال رستم: وحسن أيضًا.

- ثم قال رستم: أرأيت إن دخلنا دينكم أترجعون عن بلادنا؟

- قـال المغيـرة: إى والله، ثم لا نقـرب بلادكم إلا فى تجـارة أو حاجة.

- قال رستم: وحسن أيضًا.

ولما خرج المغيـرة من عنده، ذَاكَر رستم رؤساء قـومه فى الإسلام، فأنفوا ذلك، وأبوا أن يدخلوا فيه».

● أما ربعي، رضى الله عنه، فقد قالوا له: ما جاء بكم؟

- فقال ربعي: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمَنْ قَبِل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومَنْ أَبَى قاتلناه أبدًا حتى نُفْضِيَ إلى موعود الله.

- قالوا: وما موعود الله؟

- قال: الجنة لمن مات على قتال مَنْ أَبَى، والظَّفر لمن بقى.

- فقال رستم: قد سمعتُ مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟

- قال: نعم، كم أحب إليكم: يومًا أو يومين؟

- قال رستم: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

- فقال: ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر فى أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل.

- فقال رستم: أسيدهم أنت؟

- قال: لا، ولكنْ المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.

- فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قطّ أعَزَّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟

- فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الطلب! أما ترى إلى ثيابه؟

- فقال رستم: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب وانظروا إلى الرأى والكلام والسيرة، إن العرب يَتسخفُون بالثياب والمأكل، ويصونون الأحساب».

قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

اعتـقاد المؤمن بأن ما أصـابه لم يكن ليخطئـه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، يجعله مستقر الفؤاد، عزيز الجانب، ساكن الجوارح.. ودخول المسلم فى حمى الله وسعـيه ليكون ربانيًا خالصًا، يجـعله ثابتًا صابرًا، مدافعًا عن الحق دون أدنى تردد أو خور.. ﴿**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ**﴾ [يونس: ٧١].

وما أجـمل الأصوات الصـادحة بالحق فى وجـوه الظالمين، منتـزعة منهم حقـوق المهضوميـن الضعفاء، غـير هيابين لما قـد يقع عليهم من أذى، وغير جانحين إلى المذلة والجبن..

يقول طاووس بن كيسان:

«دخلت الحرم لأعتـمر، قال: فلما أديت العمـرة جلست عند المقام بعد أن صليـت ركعتـين، فالتفـتُّ إلى الناس وإلى البيت، فـإذا بجلبة الناس والسـلاح، والسيـوف، والدرق، والحراب.. فـالتفتُّ فـإذا هو الحجاج بن يوسف..

يقول طاووس:

فرأيت الحـراب فجلست مكانى، وبينمـا أنا جالس، وإذا برجل من أهل اليمن، فـقيـر زاهد عابد، أقبـل فطاف بالبيت، ثم جـاء ليصلى

ركعتين، فتعلق ثوبه بحربة من حراب جنود الحجاج، فوقعت الحربة على الحجاج، فاستوقفه الحجاج، وقال له: من أنت؟

قال: مسلم، قال: من أين أنت؟ قال: من اليمن، قال: كيف أخى عندكم (يعنى شقيقه الظالم محمد بن يوسف؟، قال الرجل: تركته سمينًا بدينًا بطينًا، قال الحجاج: ما سألتك عن صحته، لكن عن عدله؟ قال: تركته غشومًا ظلومًا، قال: أما تدرى أنه أخى؟ قال الرجل: فمن أنت؟ قال: أنا الحجاج بن يوسف، قال: أتظن أنه يعتز بك أكثر من اعتزازى بالله؟ قال طاووس: فما بقيت فى رأسى شعرة إلا قامت، قال: فأفلته الحجاج وتركه» أ.هـ.

إن الجبن لا يطيل عمرًا، كما أن الشجاعة لا تقصره.. والفرق بين الإيمان والنفاق، هو الفرق بين الجرأة وانعدام الشخصية.. يقول خالد ابن الوليد، رضى الله عنه: «والله، لقد حضرتُ وقاتلتُ فى أكثر من مائة معركة فى الجاهلية والإسلام، وما فى جسدى موضع شبر إلا وبه طعنة برمح، أو ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشى كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء».

والمسلم عزيز النفس، لا ينظر إلى نتائج ما يقوم به من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو إصلاح عام، فإنه بائعٌ نفسه لله، ولموتٌ فى سبيله -تعالى- خيرٌ عنده من بقاءٍ مذلٍ وعيشة نكدة يتسيد فيها من لا دين لهم ولا خلاق.. ولقد أذل الحرص أعناق الرجال، حتى انحنوا لمن

بأيديهم السلطان، طامعين فى لعاعة من لعاعاتهم، أو منصب من مناصبهم الحقيرة، أما الدعاة إلى الله على بصيرة، المجاهدون فى سبيله، فلا يهتزون لتهديد، ولا يُرهَبون لوعيد الأعداء..

● أثناء محاكمات الإخوان عام ١٩٥٥، تولى اللواء صلاح حتاتة رئاسة إحدى هذه المحاكم الظالمة، وكان سفيهًا متطاولاً على أبناء الدعوة بالسخرية والشتم، فما سلم واحد من الذين عُرضوا عليه من السب بأقذر الألفاظ، وبما أن الليلة السابقة للمحاكمة كانت تخصص لتعذيب الإخوان كى لا يتحدثوا بكلمة واحدة أمام المحكمة -فلم يكن يجرؤ أحدهم على الرد عليه أو مراجعته.

إلا أن اثنين خالفا القاعدة ولقناه دروسًا فى الاحترام والأدب، أولهما محمد أنور رياض الذى قال له بالحرف: احترم الكرسى الذى تجلس عليه أيها القاضى. أما الثانى فهو البطل الشهيد أحمد حامد قرقر (والد الدكتور محمد مورو) الذى أجاب عن أسئلة القاضى بطريقة جلبت التعذيب الرهيب له ولباقى إخوانه بعد عودته إلى المعتقل.

فحينما سأله حتاتة عن سبب ممارسته للدعوة رغم حظر الحكومة لأنشطة جماعته وإصدارها قرارًا بحلها.

أجاب قرقر: «نحن لا نعترف بقرار الحل، فإننا لم نأت بقرار كى نُلغى بقرار، وقد عشنا إخوانًا مسلمين، وسنظل إخوانًا مسلمين، وإذا متنا فسوف تنطق كل قطرة من دمنا باسم الإخوان المسلمين».

ورغم ما تعرض له قرقر من تعذيب وإيذاء بسبب هذه الجرأة، فإنه كان يلقى احترام عساكر وجاويشية السجن.. يحكى الدكتور نجيب الكيلانى فى مذكراته أن «أحمد حامد قرقر» كان جالسًا معنا، وجاء الجاويش أمين؛ رائد التعذيب الأول فى السجن الحربى، ولما رآه اقترب منه، وصافحه بحرارة وقال: «أنت رجل يا قرقر.. لا يوجد فى مصر كلها عشرة مثلك.. أنت بطل..» ثم نادى بأعلى صوته قائلاً: «يا عسكرى.. هات شاى لقرقر».

لقد حُكم على البطل أحمد حامد قرقر، بالأشغال الشاقة عشر سنوات، ثم نُقل إلى ليمان طره مع عدد من إخوانه حيث قُتل بعد ذلك بحوالى عامين داخل السجن فى حادث طره الشهير الذى دبرته الحكومة ضد مسجونى الإخوان وراح ضحيته واحد وعشرون سجينًا.. رحم الله البطل الشهيد..»[1].

وما من إمام من أئمة العلم المسلمين إلا وُضع فى اختبار: إما أن يداهن السلطان وتكون له المنزلة الزائفة عند ذلك الظالم أو ذاك، وإما يصون العلم ويكون قدوة فى حفظ الشرع والثبات على الدين.. فضربوا -رحمهم الله جميعًا- الأمثلة الرائعة، فى الشجاعة، والصبر، وقوة الاحتمال..

● فهذا الإمام مالك، يُسأل عن طلاق المكره، وهو يعلم ما يقصد السائل، وأنه إنما يُسأل عن يمين البيعة يُكره الوالى عليها الأمة، فلا

(١) مواقف وطرائف من حياة الدعاة المعاصرين، مرجع سابق.

تجد إلا اليمين هربًا من العذاب الأليم، فقال: «طلاق المكره لا يقع». وغضب الوالى لفتوى الإمام، وأحضره، وحاول أن يثنيه عن عزمه، وأنى له، فضُرب مائة سوط، وجُذب جذبًا عنيفًا حتى خُلعت كتفه، وطيف به فى الأسواق، وهو يقول مع هذا كله: «طلاق المكره لا يقع».

● واتُّهم الإمام الشافعى، رحمه الله، فى اليمن بانضمامه إلى حزب الطالبيين، وشغبه على حكومة الرشيد وإمامته، فأُحضر من صنعاء إلى بغداد مقيدًا بالحديد.. ووقف بين يدى الرشيد وأمامه العذاب: السيف والنطع، وأعدم قبله تسعة، وكان هو العاشر، ومع هذا لم تهن عزيمته، ولم تلن قناته، ولم يذهب الخوف بلبه، وأثبت الحق لنفسه، حتى فاز بإعجاب الخليفة به، وتقريبه إياه، وقد سلم العلم والفضل بسلامته.

● وعُرض القضاء على أبى حنيفة مرتين، وهو يعلم أن استقلال القاضى حينذاك قد يهدد بتدخل الولاة ورأى الخلفاء، مع أن القاعدة العامة يومئذ: أن منزلة القاضى من السمو بحيث لا تنال منها رهبة، ولا تؤثر فيها رغبة...

وكان لأبى حنيفة فى الدولة رأيه، فلم يشأ أن يقبل، وألَحَّ أبو جعفر، وأصرَّ أبو حنيفة، وأقسم الخليفة، فأقسم الإمام، وانتقل الأمر إلى التهديد والوعيد، فلم يفعلا شيئًا أمام عزيمة أقوى من الحديد،

وضُرب الإمام أكثر من مائة سوط، حتى سال الدم على عقبيه، وهو ثابت لا يلين، واعتُقل فى منزله لا يُفتى، ولا يجتمع الناس عليه، وهو على موقفه الأول..

وجاءته أمه تعاتبه وتقول: يا نعمان: إن علمًا ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه. فقال: يا أماه، لو أردت الدنيا ما ضُربت، ولكن أردت وجه الله وصيانة العلم. وقد حُبس حتى مات فى حبسه -رحمه الله-.

● أما الإمام أحمد بن حنبل، فقد أُدخل السجن وبقى فيه نحوًا من ثلاثين شهرًا، وضُرب بالسياط ضربًا مبرحًا حتى فقد وعيه.. فلم يثنه ذلك عن موقفه الرافض للقول بخلق القرآن.. ولقد ذُكر من شجاعته وقوة احتماله وصبره على الجوع والعطش، أمثلة رائعة تدل على قوة إيمانه بالله تعالى واستحضاره عظمته.

● عندما قرر السادات عقد لقاء فكرى بالإسماعيلية، مع السياسيين والمفكرين وزعماء المعارضة، التقى وزير الإعلام الأستاذ عمر التلمسانى يرجوه حضور اللقاء والأستاذ عمر يرفض؛ لأنه -على حد قوله- يعرف كبرياء السادات الأجوف وحرصه على أن يظهر بمظهر المتعالى على الآخرين..

وبعد إلحاح من الوزير، حضر الأستاذ عمر اللقاء، وجلس فى الصف الأمامى.

وبعد استرسال السادات فى حديثه، تطرق إلى الحديث عن عمر التلمسانى وعن الإخوان، ثم أخذ يكيل لهم الاتهامات وقيامهم بإثارة الفتنة وتحريض الشعب ضد النظام.

فما كان من الأستاذ عمر -وقد قارب وقتها الثمانين عامًا- إلا أن قام بالرد على السادات وتفنيد ما قاله. ثم قال له بعزة المؤمن الواثق فى ربه:

«لو كان أحد غيرك وجه إلىَّ مثل هذه التهم لشكوته إليك، أما وأنت يا محمد يا أنور يا سادات صاحبها فإنى أشكوك إلى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين.. لقد آذيتنى يا رجل وقد ألزم الفراش أسابيع من وَقْع ما سمعت منك»...

فما كان من السادات إلا أن قال: إننى لم أقصد الإساءة إلى الأستاذ عمر ولا إلى الإخوان المسلمين. اسحب شكواك.

فرد الأستاذ عمر:

«أنا لم أشك إلى ظالم، إنما شكوت إلى الله العادل ويعلم ما أقول»[1].

(١) المرجع السابق.

قولوا: لا للطغاة.. تنجوا وتسعدوا

يظن بعض الناس أن السلامة والسعادة فى قول: نعم، وتجنب مواجهة الطغاة، ويرون الشجاعة والإقدام يجلبان المشكلات والهموم، ويجعلان صاحبهما مضطهدًا منبوذًا.

ولا يدرك هؤلاء -كما يقول ابن القيم فى زاد الميعاد- «أن الشجاعة من أسباب السعادة، فإن الله يشرح صدر الشجاع بشجاعته وإقدامه؛ لأن الهم والقلة والذلة وحقارة الحال، تأتى من الجبن والهلع والفزع، وأن السعادة والانشراح والضحك والبسطة تأتى مع الشجاعة والإقدام وفرض الرأى وقول كلمة الحق التى علمها رسول الله ﷺ أصحابه»..

حب السلامة يثنى هم صاحبه ... عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

فإن جنحت إليه فاتخذ نفقًا ... فى الأرض أو سلمًا فى الجو فاعتزل

إن الرجولة تحمل صاحبها على معالى الأمور، وتجعله قويًا فى نفسه، مدافعًا عن الحق، متربصًا كالأسد لذئاب البشر الغاصبين لحقوق وحريات الآخرين.. «ولن تترعرع الرجولة الفارعة، ويتربى الرجال الصالحون، إلا فى ظلال العقائد الراسخة، والفضائل الثابتة، والمعايير

الأصيلة، والتقاليد المرعية، والحقوق المكفولة، أما فى ظلام الشك المحطم، والإلحاد الكافر، والانحلال السافر، والحرمان القاتل، فلن توجد رجولة صحيحة، كما لا ينمو الغرس إذا حُرم الماء والهواء والضياء»[1].

لا للطغاة أقولها فوق الصوامع فى علن

لا لن أبالى بمن نفا وبمن بغى وبمن سجن

لا: من يقول بها نجا والله أودعها المنن

لا: يا أحبة رددوا وذروا نعم فهى الفتن

● تقول الحاجة زينب الغزالى: «فى صباح يوم أخرجونى من زنزانة المستشفى، فرأيت مصورين وآلات التصوير معدة، وأجلسونى على مقعد، وأمرونى أن أضع ساقًا على ساق، وأضع سيجارة فى فمى ليصورونى على هذه الحالة فقلت: مستحيل أمسك سيجارة فى فمى أو فى يدى، فوضعوا المسدس فى ظهرى وفى أم رأسى لأمسك السيجارة، فرفضت ونطقت بالشهادتين وقلت: افعلوا ما تشاءون، لن أفعل..

ضُربتُ بالسياط، أعادوا المسدس إلى رأسى، وأعادوا الأمر بمسك السيجارة ووضعها فى فمى، فرفضت وأصررت على الرفض، فلما يئسوا صورونى..

(١) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، د. يوسف القرضاوى، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، ١٩٩٤م.

فى اليوم التالى، طلبوا منى أن أذهب لأتحدث فى التليفزيون، على أن يملوا علىّ كلامًا من زورهم وبهتانهم على «الإخوان المسلمين». فقلت: لن أقول إلا الآتى إذا ذهبت إلى التليفزيون:

«إن جمال عبد الناصر كافر، يحارب الإسلام فى شخص جماعة الإخوان المسلمين.. ولذلك نحن نحاربه، لأنه قال إن الحكم بالقرآن رجعية وتأخر وتعصب مقيت، ولأنه يستورد مواد أحكامه وتشريعاته من الدب الأحمر الشيوعى ومذهبه الإلحادى الذى يقول لا إله والحياة مادة.. لهذا نحن نحاربه»..

فقالوا: ستتكلمين والمسدس فى ظهرك ونافوخك، لابد أن تقولى ما نريده نحن..

قلت: بالأمس لم أرض أن أضع سيجارة فى يدى أو فى فمى، وأنتم تهددونى بمسدسكم وتضعونه فى رأسى وفى ظهرى، ومصورو صحافتكم وإعلامكم يشهدون، فهل تظنون اليوم أن أقول غير الحقيقة؟! لا.. والله إننا لحملة رسالة، وأمناء أمة، وورثة كتاب.. فجُلدتُ وأُعدتُ إلى الزنزانة»[1].

إن من اعتادوا حياة الذل، والسير كالقطيع فى ركبان الفاسدين، يصعب عليهم مجرد الاعتراض على ما يقول ويفعل أسيادهم المجرمون.. ولو فكروا ذات مرة فى معارضتهم فإنهم يرتجفون وتنتابهم

(١) أيام من حياتى، مرجع سابق.

رعشة جسدية وزلزال داخلي، فيتراجعون صاغرين، راضين بحياة العبودية والرق، على حياة العزة والكرامة.

ومَنْ يرض بالاستكانة، فسوف يرض بالإهانة، ومن لا يستطيعْ قول: لا؛ فسوف يرعى مع الخراف، يساق إلى حيث يريد سيده، فلا يجرؤ على رفع رأسه أو الإشارة بيده، وإنما يكون كمن تسير على أربع، بل هو أضل منها سبيلا..

أفمن يذوق القتل في ساح الوغى ... يجلو كما الترياق أوصاب البدن؟

أمن يعيش العمر ميتًا يشتهي ... طعم البلى فيرد: كلا، ولا، ولن؟

قم واصنع التاريخ وارفع هامه ... قد لطخ التاريخَ أذنابُ الوثن

وارق الشدائد ترق أسباب العلا ... ودع السفوح فمن يهن أبدًا يهن[1]

● يحكي مرشد الإخوان السابع الأستاذ محمد مهدي عاكف، ما وقع عليه وعلى إخوانه من تعذيب يشيب له الولدان، ورغم ذلك لم يول ظهره، ولم يعط فرصة للزبانية كي يشمتوا فيه أو يروه في وضع مذل. يقول: «٥ نوفمبر ١٩٥٤م، يوم عصيب في حياتي.. نُقلت إلى مجلس قيادة الثورة حيث تجرى المحاكمات.. أدخلوني (السلخانة) التي كان يشرف عليها على صبري وصلاح الدسوقي الششتاوي.. لا أريد الحديث عما جرى فيها، فهو أمر يندى له جبين الإنسانية.. لم أدر

(١) شعر الدكتور عبد العزيز الرنتيسي.

بنفسى إلا وأنا فى غرفتى بالسجن الحربى مشلول اليدين والرجلين.. أُعدت إلى مجلس قيادة الثورة لأشهد على فضيلة المرشد حسن الهضيبى -رحمه الله- بأن كل شيء داخل الجماعة تم بأمره.. وأنا ملقى على الأرض لا أستطيع الحركة قلت لعلى صبرى والششتاوى: لو كان فيكم رجل لأطلق علىّ الرصاص، فهو خيرٌ لى من أن أشهد شهادة زور. قالا: لا، ولكن سنتركك تموت موتًا بطيئًا ونلقيك فى النيل»[١].

إنه من استعز بغير الله ذل، وإن الناس من خوف الذل فى الذل، ومن خوف الفقر فى الفقر، ومن حرص على الموت وهب الله له الحياة، والله يقول فى كتابه ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩]..

● جاء فى مذكرات د. عبد العزيز الرنتيسى[٢]، تحت عنوان «ومن يهن الله فما له من مكرم»: «لقد مضت الثلاثة أشهر وجاءت الليلة الأخيرة فى المعتقل، وفى بعض الزنازين غير الملاصقة لزنازيننا كان عدد من العملاء الذين فروا من المعتقل وسلموا أنفسهم لإدارة المعتقل بعد أن انكشف حالهم للمعتقلين.

(١) مجلة لواء الإسلام، العدد التاسع، السنة الثانية والأربعون، جمادى الأولى ١٤٠٨هـ. ديسمبر ١٩٨٧م.

(٢) مذكرات د.عبد العزيز الرنتيسى، عامر شماخ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٤م.

وفوجئت فى آخر ليلة بمجيء «نير -شرطى صهيونى» إلى زنزانتى ليقول: يا دكتور أنت غدًا سيتم الإفراج عنك، ثم قال: لقد طلب منى «المفوكسين» -وهو مصطلح كان يطلقه المعتقلون على العملاء- أن يسلموا عليك فماذا تقول؟

ففكرت قليلاً وجال بخاطرى أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وقلت: لعل موافقتى بالسلام عليهم توقظ ضمائرهم فيحدثوا توبة.

فقلت له: موافق، فتغير وجهه وقال: يا دكتور هؤلاء «زبل» كيف تسلم عليهم؟ فقلت بعفوية: لعل الله يهديهم.

فقال: تفضل، وفتح باب الزنزانة حيث كان يتحدث إلىّ من كوة فى الباب، وخرجت لنسير حوالى أربعين مترًا هى المسافة بين زنزانتى وزنزانتهم.

وفجأة توقف «نير» فى منتصف الطريق وقال: يا دكتور هؤلاء «مفوكسون» هؤلاء «زبل» كيف تسلم عليهم؟

ولكن عزمت، فمضى حتى إذا وصلنا إلى زنزانتهم فتح كوة صغيرة فى أعلى الباب وطلب منهم أن يمدوا أيديهم للتسليم علىّ ففعلوا، ثم طلبوا منه أن يدخلنى عندهم وكانوا من النصيرات، وهنا لم يترك كلمة سيئة فى القاموس إلا قالها لهم رافضًا فتح الباب» أ.هـ.

لا يضركم من ضل إذا اهتديتم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:

«قوله -تعالى علوًا كبيرًا-: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، لا يقتضي ترك الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، لا نهيًا ولا إذنًا، كما فى الحديث المشهور فى السنن عن أبى بكر الصديق -رضى الله عنه - أنه خطب على منبر رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيِّروه، أوشك أن يَعُمَّهُم الله بعقاب منه**». [أحمد]

وكذلك فى حديث أبى ثعلبة الخشنى -مرفوعًا- فى تأويلها: «**إذا رأيت شُحًا مُطاعًا، وهَوًى متبعًا، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخويْصة نفسك**» [ابن ماجة]، وهذا يفسِّره حديث أبى سعيد فى مسلم: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» [مسلم].

فإذا قوى أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البر؛ بل يؤذون الناهى لغلبة الشح والهوى والعجب، سقط التغيير باللسان فى هذه الحال وبقى بالقلب.

و(الشح) هو: شدة الحرص التى توجب البخل والظلم، وهو منع الخيـر وكراهته، و(الهوى المتـبع) فى إرادة الشر ومحبـته، و(الإعجاب بالرأى) فى العقل والعلم.

فذكر فساد القوى الـثلاث التى هى العلم والحب والبغض، كما فى الحديث الآخر: «**ثلاث مهلكات، شحٌ مطاع، وهوًى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»، وبإزائها الثـلاث المنجيـات: خشيـة اللّه فى السر والعـلانية، والقصد فى الفقر والغنى، وكلمة الحق فى الغضب والرضا، وهى التى سألها فى الحديث الآخر: «**اللهم إنى أسألك خشيتك فى السر والعلانية، وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا، وأسـألك القصد فى الفقر والغنى**» [النسائى]، فخشيـة اللّه بإزاء اتباع الهوى؛ فإن الخشـية تمنع ذلك، كـما قال: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ**﴾ [النازعات: ٤٠]، والقصد فـى الفقـر والغنى بإزاء الشح المطاع، وكلمة الحق فى الغضب والرضا بإزاء إعجاب المرء بنفسه.

وما ذكره الصديق ظاهر؛ فـإن اللّه تعالى قال: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾ أى: الزموها وأقبلوا عليـها، ومن مصالح النفس فـعل ما أمرت به من الأمـر والنهى، وقـال: ﴿**لَا يَضُـرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَـدَيْتُمْ**﴾ وإنما يتم الاهتداء إذا أُطيع الله وأُدى الواجب من الأمر والنهى وغـيرهما، ولكن فى الآية فوائد عظيمة:

- **أحدها**: ألا يخاف المؤمن من الكفار والمنافقين؛ فإنهم لن يضروه إذا كان مهتديًا.

- **الثاني**: ألا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم؛ فإن معاصيهم لا تضره إذا اهتدى، والحزن على ما لا يضر عبث، وهذان المعنيان مذكوران في قوله: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ [النحل: ١٢٧].

- **الثالث**: ألا يركن إليهم، ولا يمد عينه إلى ما أوتوه من السلطان والمال والشهوات، كقوله: ﴿**لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الحجر: ٨٨]، فنهاه عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم في آية، ونهاه عن الحزن عليهم والرهبة منهم في آية، فإن الإنسان قد يتألم عليهم ومنهم، إما راغبًا وإما راهبًا.

- **الرابع**: ألا يعتدى على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم، أو نهيهم أو هجرهم، أو عقوبتهم؛ بل يُقال لمن اعتُدِيَ عليه: عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت، كما قال: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ..**﴾ [المائدة: ٨]، وقال: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال: ﴿**فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٣]، فإن كثيرًا من الآمرين الناهين قد يتعدى حدود الله، إما بجهل وإما

بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء فى ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين.

- **الخامس**: أن يقوم بالأمر والنهى على الوجه المشروع، من العلم والرفق، والصبر، وحسن القصد، وسلوك السبيل القصد؛ فإن ذلك داخل فى قوله: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾ وفى قوله: ﴿**إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾.

فهذه خمسة أوجه تُستفاد من الآية لمن هو مأمورٌ بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفيها المعنى الآخر، وهو إقبال المرء على مصلحة نفسه علمًا وعملاً، وإعراضه عما لا يعنيه، كما قال صاحب الشريعة: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»، ولاسيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه، لاسيما إن كان التكلم لحسد أو رئاسة. وكذلك العمل، فصاحبه إما معتد ظالم، وإما سفيه عابث، وما أكثر ما يصوِّر الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله، ويكون من باب الظلم والعدوان، فَتَأَمَّل الآية فى هذه الأمور من أنفع الأشياء للمرء»[(١)].

(١) مجموعة فتاوى ابن تيمية، لتقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

يتحايل الظالمون لإيقاع المؤمنين فى المعاصى، ومن ثم إلباسهم ثوب المذلة والخضوع، إما بإغرائهم بالسير فى ركابهم، أو محاولة انتزاع الاعترافات التى تباركهم وتثنى على أفعالهم.. وهنا يكون الاختبار، وتكون الفتن، والفالح من وُفق إلى الثبات والجهر بالحق، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، ولا تنازل مع الجلادين وغيرهم.. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

● يقول إقبال -رحمه الله-: «إن الرزق الذى يُفقد الأبى الكريم كرامته، ويرزأه فى حريته وشرفه سم زعاف.. القوت المقبول، هو الذى يظل معه الرجل موفور الكرامة، مرفوع الهامة.. ازهد فى أبهة السلاطين واعرف نفسك، واحتفظ بقيمتها وكرامتها.. إن السجدة التى هى جديرة بالاهتمام، هى السجدة التى تحرِّم عليك كل سجدة لغير الله».

والمؤمنون مطالبون، بصيانة أنفسهم عن طلب الحاجات من الآخرين، ومطالبون بأن يكونوا أغنياء النفس، قلّ مالهم أو كثر؛ فإن

السلامة في الزهد فيما في أيدي الناس، وفي عدم الجزع إن وقعت مصائب الدهر.. والكيّس من يطلب الحاجات من الله، ويدرك أن الكمال في إعفاف النفس عن التذلل لغيرها، وأن النقص والعجز في الركون إلى الآخرين.. يقول عيسى -عليه السلام-: «لباسي الصوف، وطعامي الشعير، وسراجي القمر، ودابتي رجلاي، ووسادتي ذراعي.. أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء.. وليس على وجه الأرض أغنى مني».

ويقول عليٌّ -كرم الله وجهه-:

صن النفس واحملها على ما يزينها ... تعش سالمًا والقول فيك جميل

ولا ترين الناس إلا تجملا ... نبا بك دهرٌ أو جفاك خليل

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غدٍ ... عسى نكبات الدهر عنك تزول

يعز غنيُّ النفس إن قل ماله ... ويغنى غنى المال وهو ذليل

إن من يقعون في حبائل الظالمين، ويسمعون لهم ويطيعون متجاوزين حدود الشريعة، قد وضعوا أنفسهم في مكانة الكفار، وأجروا على أنفسهم ما يجرى على أصحاب النار وأرباب الكبائر، فلقد ضرب القرآن الكريم الأمثلة الواضحة الصريحة في هذا الأمر، بأنه لا نصرة ولا ولاية لمن يركنون إلى الظالمين، بل إن مصيرهم الجحيم.. ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا**

تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٢]، فلا أحد يسبق الله ورسوله، أو الجهاد في سبيله، ولو كان الأب والأم والإخوة والعشيرة والزوجة والأولاد.. ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

● يقول سعد بن مالك -رضى الله عنه-: «كنت رجلاً برًا بأمى، فلما أسلمتُ قالت: يا سعد، ما هذا الدين الذى أراك قد أحدثت؟!، لتدع دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب؛ حتى أموت فتعَّير بى، فيقال: يا قاتل أمه، فقلت: لا تفعلى يا أمه، فإنى لا أدع دينى لشىء.. فمكثتْ يومًا وليلة لم تأكل؛ فأصبحت قد جهدت، فمكثت يومًا آخر وليلة أخرى لم تأكل؛ فأصبحت قد جهدت، فمكثت يومًا آخر وليلة أخرى لا تأكل؛ فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيتُ ذلك، قلت: يا أمَّه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت دينى هذا لشىء، فإن شئت كلى، وإن شئت لا تأكلى.. فأكلتْ» [الطبرانى].

فالمؤمنون أمناء على دينهم، وعلى شرعهم، يحرسونه من التبديل والتحريف والأهواء، وإن تطلب الأمر تقديم أرواحهم فداء لله، فما حُفظت الشريعة إلا بمثل هذا البذل، وما علت كلمة التوحيد إلا

بتضحيات رجال وقفوا فى وجه الباطل، فناظروه ونهروه، وألجموه الحجة، فمنهم من هلك على أيديهم لتحيا بدمائه الزكية الطاهرة دعوة الله وكلمته، وليكون مثلاً لمن يأتون بعده، فلا يترددون فى مخالفة المستبدين، ومنع صلفهم وغرورهم..

● أثناء التحقيق مع الأخ المستشار على جريشة سأله الضابط: المرأة تخرج كاسية عارية يرى الناس صدرها وشعرها ورجليها، ثم تضع روائح عطرية أخاذة ومثيرة.. فهل إذا خرجت المرأة بهذه الصورة تعد زانية؟!.

فأجاب المستشار جريشة: هذا حديث لرسول الله ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهى زانية**» [النسائى]..

فقال الضابط: اسمع يا على، أنا مراتى تضع روائح عطرية نفاذة جدًا، وتخرج لابسة مينى جيب وميكروجيب، وبلوزة صدرها مفتوح؛ ما حكمها يا على؟!..

فنطق على بالشهادتين استعدادًا للقتل وقال: تبقى زانية يا فندم، النبى ﷺ هو اللى قال كده مش أنا..

ولكن المفاجأة أن الضابط ضحك بطريقة هستيرية.. ثم صرف المستشار جريشة ولم يمسسه بسوء[1].

---

(١) الإخوان المسلمون.. الزلزال والصحوة (محنة ١٩٦٥)، محمد الصروى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٤م.

● أما الأخت الفاضلة، زوجة الدكتور عبد الرحمن بارود - أستاذ الأدب العربي- فقد قدمت ربها ودينها على ما سواهما، وفاصلت زوجها الذى أحبته واقترنت به سنوات طوالاً؛ لأنه خان الدعوة، وتعاون مع الظالمين. . . كان زوجها السابق (على عشماوى) أحد أبرز المتهمين فى تنظيم ٦٥، وكان رئيس تنظيم القاهرة. وقد قبضوا عليه فى يوليو ١٩٦٥، بعد زواجهما بشهرين اثنين. وقد حُكم عليه بالإعدام، فصبرت واحتسبت، ليس على ما حدث لزوجها فقط، بل أيضًا لما حدث لأختها وزوجها سيد نزيلى فى قضية قرية كرداسة الشهيرة، ولما حدث أيضًا لأخيها عبد المجيد عبد السميع. .

لقد كان يخفف عنها مصائبها، أنها من بيت إخوانى صميم، يعرف طريق الدعوة وما به من ابتلاءات وأشواك، لكنها اختُبرت فيما هو أصعب؛ اختبرت فى خيانة زوجها لإخوانه ودعوته، لقد وقف موقفًا مخزيًا أضر بالجميع وسلم رقاب الإخوان لشمس بدران الذى صعد سلم الوزارة على جماجم الشهداء وخاض فى دماء الإخوان خوضًا كبيرًا بالمعونة الكبيرة من على عشماوى.

ظل على يبتعد شيئًا فشيئًا عن الإخوان، وهى تناقشه وتتفاهم معه دون جدوى، وفى كل مرة يستغل ذكاءه فى تهدئتها وإرجاعها عن اتخاذ موقف معه. . وأخيرًا أعلن علىٌّ انفصاله عن الإخوان، وبدأ فى الغمز واللمز بهم. . فكانت لابد أن تواجهه ومما قالته له: لقد تزوجتك أخًا من الإخوان، بل قائدًا فيهم، وهذا هو الميزان الذى أزن به

الرجال، أمـا وأنك فعلت مـا فعلت ولم تتب عـن ذلك، فلا شأن لي بك... لقد عاشت بعد هذه المواجهـة شهورًا قاسية، وأخيـرًا طلبت الطلاق بشجاعـة، مقدمة دعـوتها ودينها على زوجـها الـ...»[١].

إن من يفرّط في القليل، يفرّط -فيـما بعد- في الكثير، ومن يعص الله بطاعة مخلوق في أمر بسيط من أموره الشـخصية، فإنه يجرؤ على معصيته في أمر جلـل من أمور الأمة، ومن هنا تأتي أهمية تربية النشء على هذه الفضائل، وزرع مـعاني العزة في نفوسهم قـبل أن يشبوا عن الطوق..

● في عـام ١٨٩٧م قرر الصـهاينة اختـيـار فلسطين لإقامـة الوطن القومي اليهودي، وكانت فلسطين في نطاق الخلافة العثمانية في الوقت الذي بدأ فيه السلطان عبد الحميد يدعـو بجدية إلى «الجامعة الإسلامية» التي تجمع الشعوب الإسلامية والمسلمين في كل بقاع الأرض.

واستغل الصهاينة الأزمة الماليـة التي تعانيها «الدولة العلية»، وحاول «هرتزل» رأس الصهاينة مستعـينًا بالماسون، وبيهود الدونمة في سالونيك (وهـم الذين هاجروا من الأندلس واعـتنقوا الإسلام تقـية)، ومستـعينًا بأعداء الخـلافة في داخل تركيا، ومـستعينًا بالرئيس الألماني «بـسمارك» وكانت ألمانيا حليفة لتركيا.. حاول هرتزل تحقيق هدفه الخبيث، وحاول

(١) مواقف وطرائف من حياة الدعاة المعاصرين، مرجع سابق.

أن يلتقى السلطان عبد الحميد، وهو يرفض بشدة، وأخيراً سمح له باللقاء، ودار الحديث حول المشكلات التى تعانيها الدولة، وعن تصفية الدين العام، وهنا عرض «هرتزل» على السلطان عبد الحميد خمسين مليونًا من الجنيهات الذهبية لخزينة الدولة العلية، مقابل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، وكان الخليفة قد أصدر قراراً بمنع هجرة أى يهودى إلى فلسطين، وطلب هرتزل كذلك منح اليهود جزءًا من فلسطين لإقامة وطن عليه.

ولكن عبد الحميد السلطان المسلم رفض العرض بقوة وكان -من شدة حرصه على فلسطين- قد قام بعزل سنجق (حاكم) القدس وإخضاع المنطقة لإدارته المباشرة؛ خوفًا من الإغراءات الصهيونية على أتباعه.

لقد سجل هرتزل ما قاله السلطان فى يومياته.. فكتب بالحرف الواحد «.. وقال لى السلطان: إنى لست مستعدًا أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى غير أهلها، فالبلاد ليست ملكى، بل هى ملك شعبى الذى روى أرضها بدمائه، وليحتفظ اليهود بملايينهم الذهبية...».

وبعدها أخذ التآمر على الخلافة أبعادا قذرة من الغدر والخيانة وتكثيف القوى لضرب الأمة الإسلامية وعزلها عن دينها.